التَجريب .. وأبعادهُ الفنية المعاصرة

نتاجات الفنان شداد عبد القهار "أنموذجاً"

(دراسة تحليلية)

م. م. عصام ناظم صالح
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث:

تمثل هذه الدراسة جهداً متواضعاً من قبل الباحث، والتي تهتم بدراسة ظاهرة فنية معاصرة ساهمت بشكل كبير في انحراف مسار الفن – بشكل عام– من أسلوبه التقليدي (الآيقوني)، الى أفق التغيير والتحديث والتجديد، ألا وهي ظاهرة (التجريب) .

ذلك لأن العديد من الفنانين – في كافة أنحاء العالم – أنتهجوا فعل " التجريب " كوسيلة للهروب من حالة التخندق التقليدي نحو التحرر والأنفتاح والمعاصرة.

وما يهم الباحث هنا – وفي ضوء ماسوف يتم عرضه في الأطار النظري من آراء وأفكار– هو الوصول الى النتائج التي تخدم أهداف البحث الحالي بما يحقق جزءاً من علاقة التجريب بالمعاصرة في الرسم، وسوف يتم ذلك من خلال تسليط بعض الضوء على نتاجات الفنان " شداد عبد القهار" كنموذج من الفنانين الذين أتخذو أسلوب (التجريب) منهجاً تشكيلياً لهم.

وقد أشتمل هذا البحث على أربعة مباحث وكما مدرج في أدناه :

أختص (المبحث الأول) على (منهجية البحث)، والذي تضمن (مشكلة البحث وأهميته، وأهدافه، وحدوده، ثم تحديد المصطلحات الواردة فيه). أما (المبحث الثاني) من هذا البحث فقد تضمن أطاره النظري الذي أحتوى على ثلاثة محاور وهي :

أولاً/ التجريب وأبعاده الفنية // والذي تناول فيه الباحث مفهوم التجريب ودلالاته التقنية وأبعاده الفنية.

ثانياً/ الخامات الفنية وعلاقاتها بالتجريب // والذي تناول فيه الباحث المفهوم التشكيلي والفلسفي للخامة، وكذلك دورها في عصرنة اللوحة التشكيلية من خلال "التجريب" الذي لايمكن أن يُفعَّل على سطح العمل الفني دون أن يكون هنالك ركائز أساسية توجهه نحو العمل الأبداعي، من بينها (الثقافة، والخبرة، وكذلك الخامة المحفزّة).

ثالثاً/ التجريب وعلاقته بالحداثة والمعاصرة // وهنا يركز الباحث على دور "التجريب" في توجيه مسار العمل الفني نحو الحداثة والمعاصرة.

أما (المبحث الثالث) فقد أشتمل على (اجراءآت البحث) والمتضمنة (مجتمع البحث، وأختيار العينات، وتحديد منهجية البحث، والأداة) ومن ثم(تحليل العينات) الذي تم من خلاله تحليل ثلاث لوحات فنية من نتاجات الفنان " شداد عبد القهار" والتي تم أختيارها بصورة قصدية لأحتواءها على دلالات التجريب، والتي أسفرت عن عدد من النتائج،أهمها:ـ

1/ لابد "للتجريب" أن يُقَنّن بضوابط ومعايير معينة تنطلق من وعي مطلق وشامل بكل الحيثيّات والمعايير الخاصة بعمل فني معين. وذلك لكي لايستحيل هذا التجريب الى عملية " تخريب" للعملية الفنية برمتها.

2/ إن الحفاظ على هوية العمل الفني (سواءاً كان لوحة تشكيلية أو عمل نحتي أو قطعة خزفية..) شرط مهم في تأسيس أي عمل فني.

3/ إن من بين المفعّلات التي من شأنها توجيه العمل الفني "التجريبي" الى مسار الحداثة والمعاصرة :

أ- أرتباط "التجريب" بالعالمية والمعاصرة أنطلاقاً من مبدأ (التغيير والتحديث والتجديد).

ب – التأكيد على الجانب الشكلي . السيميائي للعمل الفني.

ج – تشبّع الجانب التعبيري بالحرية الكاملة بدءاً بالخطاب الشكلي والرمزي.

د – أضفاء عنصريّ (الحركة والزمن) على الخطاب الفني.

ومن ثم – وتحديداً في المبحث الرابع من هذه الدراسة – تم ذكر قائمة المصادر والمراجع ، وأخيراً ترجمة ملخص البحث الى اللغة الأنكليزية.

(المبحث الأول/ منهجية البحث)

مشكلة البحث وأهميته :

لقد شكلَ " التجريب " أو الفن التجميعي (Assemblage Art) – الذي ظهر في حقبة الحداثة – معادلاً تشكيلية لكل المتغيرات والتطورات التي سادت كل فروع المعرفة في القرن العشرين ، كونه ساهم في ألغاء التصنيفات التقليدية القديمة لفنون (النحت والتصوير والرسم والعمارة) على حدٍ سواء، والتي سيطرت على حركة الفن التشكيلي لعقود عديدة، بأعتباره يمثل حالة

من الأنصهار التام بين مجالات الفن المختلفة وأنزياحاً فكرياً يتعدى كل ماهو " تقليدي " في محاكاة المادة وفق متغيرات لم تكن معهودة من قَبل في حركة الفن التشكيلي.

وبالنظر لما تفرزه هذه الخاصيّة من متغيرات جذرية على أسلوب الفنان وآلية الفكر لديه، وبسبب أتساع رقعة العمل بهذا النوع من الفنون سعياً خلف الحداثة والمعاصرة، ولأرتباط "التجريب" في الفن بمفهوم التطور والعالمية لدى الكثير من الفنانين في الشرق والغرب.. كل ذلك جعل التصدّي لهذه المشكلة أمراً ضرورياً وملحاً.

فضلاً عن ذلك أن هذه الدراسة تُعد حاجة أكاديمية ماسة لتوضيح مفهومٍ باتَ متداولاً في جيع أنواع الفنون (نظرياً وعملياً) في الآونة الأخيرة، ويحتاج الى توضيح وترسيخ أكثر ، وكذلك لأغناء الجانب البحثي في منجزنا الفني الذي لم يحظى بدراسة متخصصة ودقيقة في هذا المجال.

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي الى :-

1/ التعرف على تقنيات " التجريب " في اللوحة التشكيلية.

2/ الكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط بين الحداثة والتجريب في الفن، وأكساب العمل الفني صفة المعاصرة.

حدود البحث :

1/ الحدود الموضوعية : وتتمثل بلوحات الفنان " شداد عبد القهار " .

2/ الحدود الزمانية : وتنحصر بين عامي 2005ـ 2010م كونها تمثل الفترة التي شهدت محاولات تجريبية عديدة ومتنوعة للفنان.

2/ الحدود المكانية : الأعمال المعروضة في قاعات العرض في بغداد، وكذلك المطبوعة على صفحات الفولدرات ، والموجودة على مواقع الأنترنت.

تحديد المصطلحات :

1/ التجريب (experimentation):

منطقياً – أختيارمنظم لظاهرة أو أكثر ، وملاحظتها ملاحظة دقيقة للتوصل الى نتيجة معينة، كالكشف عن فرض أو تحقيقه .(...)

والتجريب الذهني: هو ضرب من التجريب في مجال الفكر ، حين يمثل الذهن ظروفاً واقعية يربط بها توقعه لنتائج معينة . فهو تجريب لاينصب على الأشياء ، بل على تصورها وتمثلها في الذهن.(10/ ص39)

والتجريب : هو منهجاً للتحاور مع الخامة والتفكير بالمفردات التشكيلية لطرح بدائل للمنطلقات في شكل علاقات تشكيلية تتضمن دلالات ومعانٍ غير مألوفة تثري مجال البحث وتحقق تركيب العلاقات التشكيلية.(9/ ص11)

كما أن منطلق (التجريب) يُعد معادلاً سايكولوجياً للعمليات الدينامية التي تنتج عنها تنظيم المثيرات الأدراكية في الأنظمة الحيوية. (9/ ص12)

2/ المعاصرة (contemporary):

ورد في(لسان العرب) لأبن منظور :.

العصر : الدهر ، والجمع أعصر وأعصار، وعصر وعصور./ والعصر: مايسبق المغرب من النهار./

والعشي: الليل والنهار يقال لهما العصران./ والعصر: اليوم(1/ ص 812)

ويقول د. عناد غزوان في معنى المعاصرة : إنها ((أحدث زمن فني)) ، كما يرى أن ((العصرية)) هي الصراع بين قيم موروثة وأخرى مكتسبة، أو بين قوى نزّاعة الى الثبوت والتقليد (...)

كما يقول أيضاً :

أرتبط مفهوم المعاصرة بحدود زمنية حيناً.. وبالحداثة حيناً آخر، والتجديد حيناً ثالثاً . بيد أن مثل هذا الأرتباط الزمني بعصر معين أرتباط تاريخي محدد بين تجريد المعاصرة من سماتها الجمالية والفنية في مدى أرتباطها بالحداثة والتجديد ، فالمعاصرة زمن فني، والحداثة مضمون فني.(8/ ص 222)

كما أوردها (ألأعسم) في ((المصطلح الفلسفي عند العرب)):.

1/ تعبير، أستعمال (modernism)

2/ النزاعات العصرية (المعاصرة)

3/ نزعة في الفن الحديث تهدف الى قطع الصلات بالماضي والبحث عن أشكال جديدة من التعبير في الفن والأدب.(4 / ص 254)

(المبحث الثاني/ الأطار النظري)

أولاً / التجريب وأبعاده الفنية :

التجريب .. هو سمة جوهرية تلتصق بمفهوم الأنفتاح الفني، وعلامة فاصلة تميز بين من يستجيب الى أمكانياته المكتسبة (الثابتة) ، ومن يسعى الى تعديلها برؤى جديدة. أنه ـ بعبارة أخرى – برزخ فاصل بين من يُبدع من داخل المعيار، ومن يُشَيّد عوالمه الممكنة من خارجه. وبين من يجد لذته في فن الأستعارة والمحاكاة، ومن يتوق في أستهواءآته الفنية الى التحليق خارج الأسراب والنفور من التطابق والمألوف،وكما قال "جون ديوي" أن ((الفن ليس هو الطبيعة ، وإنما هو الطبيعة المعدّلة)).(2/ ص 129)

لقد أرتبط " التجريب " بالعمل الفني المركب أو التجميعي (Assemblage Art). وهو من الفنون التي ظهرت في حقبة الحداثة والتي أحدثت في بداية ظهورها مايمكن أن نطلق عليه (صدمة للجمهور والنقاد) وفي نفس الوقت كان معادلاً تشكيلياً لكل المتغيرات والتطورات التي سادت كل فروع المعرفة في القرن العشرين، فضلاً عن دوره الفاعل في تغيير مفهوم علم الجمال ودور الفن في المجتمع ، حيث يتواكب هذا النوع من الفنون مع فكرة ذوبان الفواصل بين مجالات الفن المختلفة من نحت ورسم وتصوير وعمارة، وألغاء التصنيفات القديمة لتلك الفنون والتي سيطرت على حركة الفن التشكيلي لعقودٍ عديدة من خلال الأنصهار التام بين تلك المجالات الفنية المختلفة وفق متغيرات لم تكن معهودة من قبل في حركة الفن التشكيلي وخاصة فيما يتعلق بمفهوم التقنية الفنية وتوظيف الخامات على السطح التصويري للعمل الفني.

يستند هذا النوع من الفنون على فكرة أساسية وهي الأعتماد بصورة جزئية أو كلية على الخامات المصنّعة والمواد التي لم يكن الهدف من تصنيعها أن تصبح مادة فنية، أنطلاقاً من مفاهيم (البحث والتجريب والتجديد) في العمل الفني وحركة الفن التشكيلي . حيث تم وصف هذا النوع من الفنون على أنه فن يعبر عن فلسفة الأستهلاك في الحياة اليومية وتحويل البيئة بكل معطياتها لتصبح هي بحد ذاتها العمل الفني ولكن برؤى فلسفية (تجريبية وجمالية) خاصة، ((فليس الفن مجرد لغة أو تعبير ، بل هي أيضاً أداة تحوير أو تغيير)).(2/ ص 155)

وهنا يرى الباحث أن " التجريب " يتميز عن أسلوب الفن التجميعي لكون الأول يرتبط أرتباطاً وثيقاً بمفردات(البحث ، والتجربة العلمية، والعمليات المختبرية ـ الكيميائية ـ أحياناً) فهو يبحث عن ماوراء المادة الخام ضمن نظرة أستقرائية شاملة تهدف الى التعرف على خواصها الذاتية (الخفيّة)، وعن تركيبتها الداخلية، وسبل توظيفها فنياً داخل العمل الفني . فالكثير من الفنانين الذين أنتهجوا هذا المجال في تأسيس أعمالهم الفنية لجأوا الى أجراء عمليات تجريبية مختلفة على المادة بغية

تغييرشكلها الخارجي وطبيعتها التكوينية ، كالحرق والتعتيق ومعاملتها (كيميائياً) بأنواع مختلفة من الأحماض وبعض المواد الكيميائية.. ألخ، لعلمهم المسبق بأن المادة هي ((كيان مستقل ذو علائق داخلية))[12 / ص 105] لايمكن الوصول أليها والتعرف على خواصها ألا من خلال عمليات البحث والتجريب. ومن خلال ذلك نجد أن الفنان التشكيلي لم يكتفي بالحدود الأزلية التي رسمت المعايير الثابتة للفن، بل أنطلق برؤى فكرية جديدة ، ليحلق في أجواء المعاصرة والتجارب العلمية ذات الغايات الفنية والجمالية.

ثانياً / الخامات الفنية وعلاقتها بالتجريب :

تمثل الخامة محوراً مهماً وأساسياً في تكوين المنجز الفني التشكيلي على أختلاف صوره وتفرعاته. فهي الوسيط المادي الذي به ومن خلاله يتم تجسيد وأستشعار القيم الجمالية والمعايير الفنية التي – بغيابها عن أي منجز تشكيلي – يفقد ذلك المنجز معاييره الفنية التي تؤهله لأن يرتقي الى مستوى الأبداع والتميز الفني . وهنا نستذكر قول " تيوفيل جوتيه " الذي وصف المادة الخام بأنها ((تحوي جمالاً وقيمة خاصة بها، كالأحجار الكريمة التي لم تُصقل بعد ، ولن تركب على أساور أو عقود أو خواتم))[5/ ص 181] إلا بعد أن تمتد أليها يد الفنان كي تحيلها الى محسوسات جمالية مشذبة عن الأصل، أو متغيرة كلياً بفعل عمليات البحث والتجريب.

فضلاً عن ذلك.. تعتبر الخامة المثير الملهم للفنان ، والقادرة على تلبية تطلعاته التعبيرية والوجدانية والحسية . فهي ليست (شيء) صنع منه هذا العمل أو ذاك ، وإنما هي غاية في حدّ ذاتها ، ويجب المحافظة عليها وأبرازها بوصفها ذات كيفيات حسيّة خاصة، من شأنها أن تعين على تكوين الموضوع الجمالي، ذلك أن ((للفن غاية جوهرية تبحث عن حقيقة باطنية تمثل مايجيش في النفس البشرية)).[11]

ولقد تأثر الكثير – من فناني الحركات الفنية الحديثة ـ بالوسائط التشكيلية التي وفرتها التكنولوجيا والصناعات الحديثة، وأصبح العمل الفني لايعتمد على الخامات التقليدية ، بل أدخل عليها خامات اخرى ربما تكون مصنّعة ، أو مخلفة من مواد طبيعية أو كيميائية.

و ((لقد غيرت مفاهيم الفن الحديث والمعاصر تحديد أستخدام خامات بعينها لفن من الفنون، فلا نجد الفنان يعبر عن فنه مجدداً في أطار خامة تخص مجاله الفني فقط))،[6 / ص 172] بل تعدّى ذلك الى محاولات أستكشاف خاماتية شملت كل عنصر من عناصر الطبيعة.

فمن خلال عمليات "التجريب" يحاول الفنان التشكيلي أن يقدم كل ماهو جديد متماشياً مع روح العصر . فنرى دخوله الى عوالم لم تكن متعارف عليها سابقاً في مجال الفن التشكيلي.. مثل

مجالات الكيمياء، والفيزياء والجيولوجيا، وعلم الطبيعة، وغيرها ، وبعكسه سوف يكون الفنان – كما قال جون ديوي –((مجرد أكاديمي)) (...)، بحيث أنه أشترط "التجريب" كأساس في عملية الأنتاج الفني بقوله : ((لايمكن أن يتوافر "التعبير الفني " إلا إذا حدثت عملية (تحوير) أو (تعديل) يقوم بها الفنان من أجل إعادة تكوين المادة الغفل البدائية للتجربة)).(2 / ص 127)

ومن هنا نلمس أهمية العلاقة التي تربط بين المادة الخام وبين التجريب ، ودور "التجريب" في إحالة المادة الخام من واقعها البدائي (التقليدي) ، الى وسيط مادي (جمالي) مهم وكفيل بأن ينهض بالعمل الفني الى مستوى الحداثة والمعاصرة.

ثالثاً / التجريب وعلاقته بالحداثة والمعاصرة :

لايمكن لأي فنان أن يضفي على منجزه التشكيلي لمسات فنية تمنحه صفة (الأبداع) دون أن يتمتع بأهم صفة من صفات الفنان المبدع .. ألا وهي "الخبرة الفنية " . وهذا ماأكده الفيلسوف " جون ديوي " بقوله : ((إن الخبرة حين تصبح **تجربة** بمعنى الكلمة ، (...) فإنها تصبح عندئذ خبرة جمالية)). (2/ ص 132) ، بمعنى أن " التجريب" هو فعل أدراكي مهم ، وشرط أساسي للأرتقاء بالخبرة الفنية الى مستوى الأبداع الجمالي.

ولاشك في أن الكثير من معطيات العصر الحديث (المعلوماتية والمعرفية والتكنولوجية) كانت السبب في أنتهاج العديد من الفنانين التشكيليين أسلوب "التجريب"، رغبةً منهم في مواكبة العصر، ومحاولة الأرتقاء بمنجزاتهم الفنية الى مستوى العالمية والمعاصرة.

ولأرتباط الحداثة والمعاصرة في الفن بفكرة "التجريب" ، نجد أن العديد من الفنانين يبحثون – من خلال تجاربهم الأبداعية الخاماتية– عن خصائص جديدة بعيدة عن المحاكاة التسجيلية الوصفية (التقليدية).

فالحداثة – بأبسط معانيها – هي ((التغيير أو التحديث للقيم والأنماط الحضارية والثقافية السائدة . فهي أشكالية تجديدية)).(7) بمعنى آخر أن الحداثة في الفن هو أتباع للأساليب الفنية التجديدية والبعيدة عن التقليد والمحاكاة بدءاً من البُنى التحليلية التركيبية المكونة لها وبضمنها المادة الخام.

إن البحث والتجريب هما الرافد الحقيقي والأساسي للعمل الفني الأبداعي، وأن الأنسان الذي لايحلق في هذه الأجواء – الحضارية – لايمكن أن يتحسس قيمة الجمال المكتنز داخل الخامات الفنية ، إذ أن عالم المعلوم هو عالم الواقع المسلّم به، ولن يضيف المرء شيئاً إذا بقي متخندقاً في عالم المعلوم.

وهنا يرى الباحث أنه لابد "للتجريب" من معايير ثابتة تحدّ من جموحه الذي ربما يقود صاحبه الى القفز على (ثوابت أصلية) قد يؤدي تخريبها والأفراط في تجاوزها الى أفساد العمل برمته، والنزول به رأساً من الرغبة في التطور الأيجابي الى العبث والفوضى.

إذاً لابد أن يقنن هذا "التجريب" بضوابط معينة تنطلق من وعي مطلق وشامل بكل الحيثيات والمعايير الخاصة بعمل معين، لكي لايكون هذا التجريب بمثابة "تخريب" للعملية الفنية برمتها، ولكي لا يكون بمثابة ((الدعوة المغالية التي تدعو الى العصرية المطلقة والتي توشك أن تنفصل نهائياً عن التراث))،[3/ ص 10] ذلك لأننا نجد العديد من فناني هذا العصر – بدعوى الحداثة والمعاصرة– قد أتجهوا نحو المغالاة في أستخدام الخامات وبأسلوب يكاد ينأى عن الغايات الجمالية للعمل الفني ويلغي هويته الفنية . وليس هذا فحسب ، بل تسببوا في خلط الأوراق الفنية ببعضها ، فبات المتلقي لايفرق بين اللوحة التشكيلية وبين العمل النحتي البارز (على سبيل المثال).

فالحفاظ على التراث والتواصل مع الأرث الحضاري ، والألتزام بالمعايير الفنية والقيم الجمالية للتكوين الفني والتحلّي بالثقافة والخبرة ، كلها عوامل ضرورية تسهم في أضفاء الطابع المعاصر على المنجزات الفنية.

(المبحث الثالث/ أجراءآت البحث)

مجتمع البحث/

لغرض تحديد مجتمع البحث وعيناته التي تخدم أهدافه، قام الباحث بعملية أستقصاء لمجتمع البحث شملت بعض قاعات العرض في بغداد. فضلاً عن الأعمال المصورة في الفولدرات الخاصة بالمعارض الشخصية للفنان، وكذلك الأعمال المنشودة على صفحات الأنترنت . ومن خلال ذلك تم تحديد (20) عينة وهي عبارة عن لوحات تشكيلية من نتاجات الفنان "شداد عبد القهار" أنحصرت تواريخ أنتاجها بين عامي (2005 و)2010م وهي الفترة الزمنية التي شهدت مراحل الأنفتاح الفني لدى الفنان بعد ركود فني دام عدة سنوات – بسبب الأحداث السياسية التي مرت على العراق – ، توصل الباحث من خلالها الى تصنيف عينات بحثه وفقاً لما يلي : (أسم العمل ، سنة التنفيذ ، المادة ، الأبعاد)

أختيار العينات/

لقد تم أختيار عينات البحث بطريقة (قصدية) تخدم هذا البحث لأحتواءها على آثار " التجريب" ذات العلاقة المباشرة بموضوع بحثنا الحالي . فكان الأختيار هو ثلاث لوحات تشكيلية من نتاجات الفنان" شداد عبد القهار" أنحسرت بين عامي (2005– 2010) م ، والتي أحتوت على تقنيات تجريبية مختلفة من عمل الى آخر.

منهج البحث/

لقد أعتمد الباحث المنهج الوصفي – التحليلي القائم على الملاحظة العلمية في تحليل العينات بما يحقق اهداف البحث.

أداة البحث /

لغرض تحصين البحث ورصانته ، قام الباحث يجمع المعلومات الجديدة من قراءآت شخصية للوحات الفنان التي أخضعها للتحليل بأسلوب وصفي تحليلي وصولاً الى الهدف ، وتماشياً مع طبيعة البحث وأدواته، وتحقيقاً للنتائج التي ستكون وصفية ونوعية.

تحليل العينات/

سيقوم الباحث بتحليل العينات ، والتي سيتم من خلالها أستنباط النتائج التي تتناسب وأهداف البحث الحالي.

عينة رقم (1)

أسم العمل/ مسلّة

سنة التنفيذ/ 2007م

المادة/ ألوان الأكريليك على لوح من الخشب

الأبعاد/ 30سم × 65سم

تحليل العمل:

لقد قام الفنان في هذا العمل بتجريد أبعاد اللوحة الخارجية ليحيلها من شكلها الهندسي (المعتاد) الى تكوين غير محدد الأبعاد ، تم تصميمه بحرية واضحة غير ملتزمة بالمعايير الأنشائية للوحة التشكيلية .

حيث قام بأسقاط رموزه وتكويناته الشكلية على لوح رقيق من خشب "الزان" بأسلوب تجريدي طفولي الهيئة من حيث الشكل العام، مستعيناً في ذلك ببعض الخطوط (الهندسية ، والمبعثرة) في نفس الوقت، مستخدماً ألوان "الأكريلك" في توزيع لمساته الجمالية والتعبيرية على أشكال ومواقع محددة من السطح التصويري لهذا العمل الفني. والتي أضفت عليه بعض السمات ذات الطابع التراثي.

ولقد أستخدم الفنان في هذا العمل بعض التقنيات الحديثة (والغريبة عن عالم اللوحات التشكيلية) كالحفر والتخديش والتثقيب والحرق ، وهي وسائل تقنية معاصرة لم تكن معروفة من قبل ، كان لطواعية خامة "اللوحة الأم " الفضل في أسقاطها وتوظيفها وسهولة تشكيلها .

إن لجوء الفنان الى خامة ربما تكون غريبة بعض الشيء عن عالم الرسم، وأتباعه لتقنيات أسلوبية لم تكن معروفة من قبل، وكذلك لأختياره سطحاً تصويرياً غير منتظم (شكلاً وتكويناً) .. كل ذلك ساهم في منح هذا العمل طابعاً "تجريبياً" جديداً من نوعه فيما يتعلق بشكله العام وأبعاده الفكرية وطريقة التعامل مع الخامة.

وأن العوامل التي ساهمت في أكساب هذا العمل (التجريبي) صفة المعاصرة هي :

(1)محاولة الفنان بربط الماضي بالحاضرمن خلال وصل التراث بالحضارة والمعاصرة (2) الأبعاد التعبيرية للعمل الفني مشبّعة بالحرية الكاملة بدءاً بالخطاب التشكيلي والرمزي (3) "الأسلوب التجريبي الجديد "من خلال تعامل الفنان مع (الجانب الخفي) للمادة (4) أنتظام العمل في أطار المرجعية المعرفية (الغربية) مع الحفاظ على الجانب التراثي بشكله المعاصر.

عينة رقم (2)

أسم العمل/ تكوين

سنة التنفيذ / 2007م

المادة / سايبس+ الوان زيتية على الكانفاس

الأبعاد / 100سم × 150سم

تحليل العمل :

حاول الفنان في هذا العمل أنشاء بعض المؤثرات البعدية من خلال لجوءه الى مادة (السايبس / وهي مادة بلاستيكية مرنة تستخدم في العمل الفني من خلال الحقن أو بواسطة السكين)، والتي أحدثت ـ بفعل طبيعتها المطواعة والطرية ـ أشكالاً فنية تميزت بنفورها عن سطح اللوحة ، مما خلق نوعاً من النفور (الملموس والمحسوس) . فضلاً عن دور الألوان الزيتية في أكسابها تلك الميزة.

ولقد تميز هذا العمل بطابعه التاريخي والتراثي من خلال الأشكال المحفورة عليها، والتي أضفت عليه بُعداً زمنياً وتأريخياً .. فضلاً عن الآلية المستخدمة في توزيع الأوان، والتي منحته سمات تعتيقية موحية بالقِدَم . فضلاً عن محاولات التجريب المتكررة والتقنيات التي تعامل الفنان من خلالها مع المواد الخاماتية المتنوعة على السطح التصويري لهذا المنجز الفني.

ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في منح هذا العمل التجريبي صفة الحداثة والمعاصرة هي:ـ (1)حرص الفنان على تناول موضوع تراثي وتاريخي وتوظيفه في هذا العمل بأسلوب جديد ومعاصر(2) محاولات " التجريب" ومهارة أستنطاق الفنان للمادة الخام والكشف عن خفاياها وأسرارها(3) أكساب العمل طابعه التجريبي "الغربي" ولكن برؤى (شكلية ومضمونية) مقتبسة من التاريخ التراثي والحضاري للفنان(4) حرص الفنان على أخراج هذا امنجز التشكيلي بأسلوب سيميائي بكل ما يتضمنه من إشارات وعلامات ورموز.

عينة رقم (3)

أسم العمل/ نفور الحضارة

سنة التنفيذ/ 2009م

المادة/ سايبس+جبس+الواح خشبية+قصاصات ورقية+

الوان زيتية

الأبعاد/ 150سم × 50سم

تحليل العمل :

يتألف هذا العمل من ثلاث لوحات متراكبة على بعض، تؤلف مجتمعةً كياناً تشكيلياً يغلب عليه اللون النيلي الباهت، ولقد شكلت النتوءآت البارزة وسيلة لربط الأشكال "بصرياً " فيما بينها، وهو أسلوب تجريبي جديد أراد الفنان من خلاله أن يتميّز به عن غيرة من فناني عصره.

ولقد أنتهج – الفنان – في هذا العمل الفني المركب أسلوباً فنياً زاوج فيه بين النحت البارز وفن الرسم ، وذلك من خلال محاولاته التجريبية لمواد خاماتية متعددة تم توظيفها على السطح التصويري للعمل الفني.

فلقد حاول الفنان في هذا العمل توظيف عدة خامات في آن واحد، منها قصاصات ورقية ، مع مادة السايبس المرنة التي تسببت في عمل نتوءآت بارزة على سطحه التصويري على هيئة نقوش تراثية وأحرف مسمارية ، بالأضافة الى ضربات لونية بواسطة الفرشاة تم تنفيذها بشكل عبثي ، وفي مركز اللوحة نجد شكلاً مربعاً ينزاح عن الشكل العام للعمل الفني من الجانب الأيمن، وقد نقش عليه شكلاً تاريخياً لأمرأة متعبدة تم تنفيذها من مادة الجبس وبأسلوب النحت البارز.

ولأضفاء – الفنان – بعداً زمنياً على هذا المنجز التشكيلي ، أحال به الى حالة من عدم الأستقرار من خلال الأنزياحات الشكلية المنفذة على سطحة التصويري وحدوده الخارجة عن التكوين العام.

ولكي يرتقي الفنان الى مستوى الحداثة والمعاصرة سعى الى أضفاء بعض السمات الفنية "التجريبية والتجديدية" منها :

(1)التأكيد على الجوانب التراثية والتاريخية والحضارية، وإظهارها بتشكيل حداثوي (معاصر) وبدلالات رمزية وإشارية.

(2) محاولة أستنطاق المادة الخام من خلال عمليات التجريب التي تهدف الى الغور في جانبها الخفي والكشف عن أمكانيّاتها (غيرالمرئية).

(3) أكساب العمل بعضاً من لمسات الثقافة الغربية المتمثلة إلينا من خلال الهيئة العامة للمنجز، ومن خلال مغامرات الفنان التجريبية.

(4) أضفاء عنصر الحركة والزمن ومحاولات الأنفتاح (الشكلي) على حساب المضمون التعبيريالصريح.

(نتائج البحث)

لقد توصل الباحث الى جملة من النتائج أهمها :

(1)هناك علاقة (نفعية) متبادلة بين "التجريب" في الفن، وبين الخامات التي تم توظيفها داخل العمل الفني. بحيث أنه لايمكن للفنان أن يدخل مضمار التجريب دون أن تكون هنالك مواد خام (طبيعية أو صناعية) ومن خارج الحدود الخاماتية المتعارف عليها في الفن.

وكذلك لايمكن " للخامة" أن تفصح عن جمالها التكويني وقدراتها الداخلية (التكوينية) دون أن تمتد إليها يد الفنان ليحيلها – بفعل عمليات التجريب – من واقعها البدائي (التقليدي) الى وسيط مادي وعنصر جمالي مهم داخل العملية الفنية.

(2) لابد (للتجريب) أن يُقنَّن بضوابط ومعايير ثابتة تنطلق من وعي مطلق وشامل بكل الحيثيات والمعايير الخاصة بعمل فني معين. وذلك لكي لايستحيل هذا (التجريب) الى عامل)تخريب) للعملية الفنية برمتها.

(3) إن الحفاظ على هوية العمل الفني (سواءاً كان لوحة تشكيلية أو عملاً نحتياً بارزاً أو قطعة خزفية ..الخ) شرط مهم في تأسيس أي عمل فني.

(4) أرتباط "التجريب" بالخلفية الثقافية للفنان ، من حيث طريقة (البحث والأنتقاء والتوظيف) ، كونها تمثل عاملاً مهماً في(أنجاح أو أخفاق) أي عمل فني.

(5) لم يطأ "التجريب" الخامة المستخدمة على سطح العمل الفني حسب ، بل تعدّى ذلك الى تسببه في تغيير الهيئة الخارجية للوحة التشكيلية ، وأحيلت ـ بفعل هذا التجريب ـ من إطار خارجي محدد الأبعاد (طول وعرض) الى الواح معدنية وخشبية وحجرية غير محددة الأبعاد.

(6) إن " المفعّلات " التي من شأنها توجيه العمل الفني (التجريبي) الى مسار الحداثة والمعاصرة هي :

أ/ أرتباط "التجريب" بالعالمية والمعاصرة ، أنطلاقاً من مبدأ (التغيير والتحديث والتجديد) .

ب/ التأكيد على الجانب الشكلي والأخراجي للعمل الفني.

ت/ تشبّع الجانب التعبيري بالحرية الكاملة بدءاً بالخطاب الشكلي والرمزي.

ث/ أنتظام "العمل" في إطار المرجعية المعرفية والتقنية (الغربية) ، مع الحفاظ على الجانب التراثي والأرث الحضاري لصاحب العمل.

ج/ محاولة إظهار العمل الفني بشكله السيميائي بكل مافيه من مؤثرات علاماتية ورمزية.

ح/ إضفاء عنصرَي (الحرية والزمن) على الخطاب الفني (شكلاً ومضموناً) .

(قائمة المصادر والمراجع)

1/ أبن منظور : لسان العرب، المجلد الثامن ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، بيروت ، 1965

2/ أبراهيم ، زكريا : فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دراسات جمالية (1) ، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، (د.ت)

3/ أسماعيل ، عز الدين : الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت)

4/ الأعسر ، عبد الأمير : المصطلح الفلسفي عند العرب ، دراسة وتحقيق ، ساعدت على نشره جامعة بغداد ، منشورات مكتبة الفكر العربي ، بغداد ، 1984

5/ برتليمي ، جان : بحث في علم الجمال ، ترجمة : د. أنور عبد العزيز، مراجعة : د. نظمي لوقا ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ـ نيويورك ، 1970

6/ بهنسي ، عفيفي : من الحداثة الى مابعد الحداثة في الفن ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1997

7/ علوان ، فاروق : محاضرة ألقاها لطلبة الدراسات العليا (الماجستير) ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، قسم الفنون التشكيلية ، بغداد ، 2003

8/ غزوان ، عناد : الناقد العربي المعاصروالموروث ، ج2، الأتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ، من بحوث المؤتمر الثاني عشر ، بغداد ، 1986

9/ فيّومي ، فتون فؤاد عبد القادر : الأشغال الفنية بالخامات المصنّعة ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التربية الفنية في كلية التربية ، المملكة العربية السعودية ، 2006، (من صفحات الأنترنت)

10/ مدكور ، أبراهيم : المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1979

11/ نعمة ، علي شاكر : تجليات الروح المطلقة في ضوء فلسفة هيجل الجمالية ، مقال من إحدى مواقع الأنترنت ، يونيو ، 2009

12 Lepachy . Cinlio C. La Lingulstica Structural Torin 1966 . Trad . Barcelona . 1971